يلحظوا شيئا ، هم الذين شرحوا لي ما حدث وأفهموني اياه يوما بعد يوم واشارة وراء اشارة . زينة ! لا شك انه حلف يومها بكل الاولياء الصالحين . جاءت المسكينة تصرخ وتبكي وتقول انهم شطبوا اسمين في اعاشتها لان اخبارية نقلها احد جواسيس الوكالة تقول انها تعمل خادمة وتحصل مئة ليرة كل شهر . ارملة مشحرة مات زوجها تحت حمولة شاحنة حصى حين افرغها السائق فوقه دون ان ينتبه . عندها اربعة أولاد ، وجاءت تولول عند مصطفى ، وتقول انها وأولادها سيموتون جوعا . كانت ما تزال شابة سمراء قوية . ووعد مصطفى أن يدبر المسألة . وبعد اسبوع عادت زينة تبكي وتولول : « وعدت انك ستعيد الاعاشتين فأعدت اعاشة واحدة فقط . لقد اقسمت يومها ... » وأخذت تبكي وتضرب رأسها على الحائط وقالت أنها خدعت ، وأخذت تردد كلمات باكية : « اولادي . تعبي . عرضي .. عرضي ! عرضي ! عرضي ! » تعلقت هذه الكلمة في سقف المخزن ، مثل ضوء اللوكس ، وأخذت تمطر علينا هياجا وعارا في آن واحد ، ولا شك انها ما تزال معلقة هناك وقد خفت اشعاعها مثلما يخفت ضوء اللوكس مع الوقت .. « عرضي » !. هكذا يا سيد مصطفى يتحول الخبز الى فراش . انت تريد الفراش وهي تريد الخبز . آه يا عكروت . لا شك انك اقسمت لها يومها بكل أولياء الارض ، الان وظفت نفسك عند الولي عبدالعاطي . الان صرت تدافع عن تلك الثمرة الطائشة من الفطر ! ترى هل وعدتها بالزواج ؟ سيد مصطفى . مصطفى افندي ؟

« اخرس » . مكتوبة بالحبر الاسود العريض من القلم المخصص لشطب الاسماء ، كأننا نستخدم هذا القلم العريض لنطمئن الى ان الاسم الذي نشطبه انما انشطب كليا وتماما فلا تقوم له قائمة من بعد . من يدري ؟ لعل مديرية الوكالة تحسب ان اللاجئين يولدون من جديد ، فلماذا يعثرون على اسمائهم بسهولة ؟ اننا نكتب الاسماء الجديدة بأقلام حبر رفيعة ، خجولة ، فلماذا نشطبها بذلك القلم الاسود الثخين الذي يستخدمونه لكتابة الاسماء على اكياس الخيش .

حملت القوائم ووقفت . نظرت الى الموظفين وقلت « لنبدأ بتوزيع اعاشة اليوم » . مضينا في صف الى المخزن يتقدمنا مصطفى الذي يحتفظ بالمفاتيح ، ووقف كل واحد في مكانه . انا قرب الباب المطل الى الخارج .

فتحت الباب فأخذت الاكف تلوح بدفاتر الاعاشة الحمراء وتتدافع وترتطم الاوانى ببعضها فلا تصدر صوتا . استغرقت في العمل ، وكانت يداي تنشطان : من البراميل الى الاكياس الى الميزان الى الدفاتر . فجأة حدث شيء غريب ، فقد اكتشفت لاول مرة انني انما اقرأ شفاه الناس الذين أمامي . افهم ماذا يقولون : « عدس . كوكوس . حليب . طحين . فول .. » آه يا عبد العاطي ! أتراك اجترحت المعجزة ؟ هراء . طق حنك . ولكن الحقيقة هي انني كنت أقرأ شفاه الناس ، وأعرف ماذا يطلبون .. ما الذي حدث ؟ عملتها يا عبد العاطي يا ولي ؟ مستحيل ، فأنا ما زلت مصرا على ان احمل الفأس والمنكوش واذهب مع عبد العاطي لاهدم قبر الولي واقطع شجرته ..

وظلت الافواه تقول لعيني ، طوال ذلك اليوم : عدس ، حليب ، فول ، كوكوس ، تمر ، طحين ...

— ٨ —

كنا على وشك أن نغلق المخبز ، أنا وحمدان ، حين سمعت خطوات ابي قيس على الرصيف ، دخل فسلم وأخذ يتحسس الارغفة ويقلبها ، ثم اختار واحدا وناولني ثمنه وأخذ يلفه بورقة . دفعت نحوه كرسيا واطئا من القش فجلس ، وجاء حمدان من الداخل ، وقال :

— ها قد جاء ذلك الشقي الكافر .. هل تريدان الذهاب الى هناك ؟